حقيقة اغتيال وفاء قسطنطين

8

فقرة قصيرة للغاية أدلى بها الدكتور زغلول النجار فى حوار صحفى نشرته جريدة الخميس التى أشرف على تحريرها،قال فيها : إنه علم من مصادره أن الأخت وفاء قسطنطين التى أعلنت إسلامها – لكن الكنيسة أصرت على أن تسعيدها – قد قتلت ،لأنها كانت قد أصرت على أن تظل مسلمة، وهو ما لم يعجب قيادات الكنيسة.

لم يذكر زغلول النجار شيئًا عن مصادره،وهل هى مصادر من داخل الكنيسة أم أنها مصادر أمنية،وقدر عدم قناعتى بما قاله زغلول النجار عن السيدة وفاء التى منحها لقب شهيدة،إلا أننى قررت نشر الحوار لأنه كان بمثابة الحجر الضخم

الذى ألقى به فى بحيرة راكدة.

اعتبرت أنه يمكننا أن نعرف مصير وفاء قسطنطين المجهول الذى تتكتم الكنيسة عليه،على اعتبار أن كلام زغلول النجار مستفز ولابد من الرد السريع والحتمى عليه، لكن للأسف الشديد حدث نوع من الفوران حول تصريح زغلول دون أن نعرف الحقيقة.

حاولت أن أقدم قراءة مختلفة لما جرى، كتبت عن «زغلول النجار ..... بطريقة غير مباشرة» وقلت:

على شريط كاسيت نملك نسخة منه قال الدكتور زغلول النجار: إنه عرف بطريقة غير مباشرة أن السيدة وفاء قسطنطين المسيحية التى قيل : إنها أسلمت ثم عادت إلى دينها مرة أخرى قتلت فى دير وادى النطرون،طلبت منها الكنيسة أن تخلع إسلامها وتعود إلى المسيحية مرة أخرى فرفضت، فلم يكن أمامهم إلا أن يقتلوها.

هناك مشكلة بالطبع فهذا الكلام نشرناه على صدر الصفحة الأولى،وغضب منه عدد كبير من الأقباط، عبروا عن غضبهم هذا فى مكالمات تليفونية ورسائل مكتوبة عديدة.

كان يمكن للكنيسة إذا كانت بريئة ومبرأة من اتهام زغلوا النجار أن تظهر لنا وفاء قسطنطين حتى لو كانت خارج مصر، كما قال القبطى الإنجيلى الدكتور رفيق حبيب منذ سنوات أن الكنيسة أرسلت وفاء هى وعائلتها خارج مصر إلى دولة بها غالبية قبطية دون أن يحدد اسم هذه الدولة.

إظهار وفاء كان أمرا سهلا، فالكنيسة تمتلك قنوات فضائية عديدة يمكن من خلالها أن تستضيف وفاء لتتحدث وتنتهى هذه الفتنة.

لقد أشار زغلول النجار أنه واثق من معلوماته، وواثق أيضا من أنها أسلمت بعد أن قرأت أحد مقالاته كما حدث مع عشرات من مسيحيى مصر، الذين أسلموا

بعد أن قرؤوا مقالاته تحديدا فى الأهرام، لكننى فى الوقت الذى أعيب فيه على الكنيسة صمتها،أعيب على زغلول النجار دخوله فى مناطق شائكة، من شأنها أن تثير الفتن، ولو كان النجار يمتلك معلومات دقيقة لما كان فى الأمر شيء، لكنه فى كل مرة يتحدث يكتفى بأن يقول : إنه علم بطريقة غير مباشرة.

فعلها قبل ذلك عندما أعلن أنه يعرف الأماكن التى تمارس التنصير فى مصر ويعرف عناوينها والقائمين عليها، ولما طلبنا منه تحديدها قال: إنه عرف ذلك أيضا بطريقة غير مباشرة،ولا أدرى هل هذه مثلا طريقة جديدة فى الحصول على المعلومات فى مصر؟

ثم ماذا يريد زغلول النجار من الأقباط؟

إننا نتعامل معهم كمواطنين مصريين مثلهم مثل أى مواطنين آخرين،ندافع عنهم إذا تعرضوا لظلم، ونهاجمهم بشراسة إذا بدر منهم خطأ معين، لكن زغلول وغيره كثيرون لا يتعاملون مع الأقباط بهذه الطريقة، يرونهم أصحاب دين لابد أن يتركوه لأنه خطأ،لا يرضون عنهم، يسعون بكل قوة أن يجعلوهم مسلمين، ليتقربوا بذلك إلى الله سبحانه.

قد يكون لدى زغلول النجار العذر فى ذلك فهو فى النهاية داعية أو هكذا يصور نفسه للناس،أى أنه يبنى شهرته وتواجده ولقمة عيشه على الدعوة التى يتبناها،لكن الرجل الذى صدروه لنا على أنه عالم كبير،لا يعرف عن قواعد العلم شيئًا،لا يتعامل بالمنهج العلمى مع الأشياء، فهو أسير للخرافة، يلقى بتصريحاته على قارعة الطريق ويمضى دون أن يكون لديه دليل عليها.

إن تصريحا مثل قتل الكنيسة لوفاء قسطنطين يمكن أن يوغر الصدور، ولا أعرف من الذى يمكن أن يستفيد عندما يقوم شاب متحمس لدينه وينتقم من الأقباط لأنهم قتلوا امرأة يقول عنها زغلول النجار: إنها قتلت فى الدير لأنها رفضت أن ترتد عن الإسلام،بالطبع زغلول النجار سوف يرسل هذا الشاب إلى

الجنة ونعم المصير، لكنه لا يدرك أنه سيخلف وراءه فتنة عامة وشاملة لن يقدر أحد عليها.

حاول البعض أن يخفف من وقع ما حدث ونسبوا لزغلول النجار أنه قال :إن التصريح الذى نسب إليه بقتل وفاء لم يكن دقيقا وأنه تم تحريفه، ولو كان الدكتور قال ذلك : فإننى اتهمه بأنه ليس صادقا لأن الكلام قاله بنصه وبحرفه وبحماس شديد لا يدل مطلقا على أنه من الممكن أن يتراجع عنه، قد يكون أدرك خطأه بعد أن تفوه به، لكن لماذا لم يدرك خطأه فى كثير مما كتبه بعد ذلك.

هل لديكم تفسير مقنع لجرأة زغلول النجار فى صنع الفتنة فى مصر؟

هناك تفسيران

الأول: أن هناك جهات ودولاً يعرفها زغلول النجار تريد أن تؤسلم وجه مصر فلا يبقى فيها قبطى واحد،وهذه الدول تدفع بسخاء،ولو كان زغلول النجار على علاقة بهذه الدول فهى مصيبة لأنه ينفذ أهداف غيره، ومؤكد أنه يحصل على ثمن ذلك.

لكننى أستبعد هذا الاحتمال فالرجل عالم ولا يمكن أن يشترى بهذه السهولة.

الثانى :أن هناك جهات ودولاً تريد أن تنشر الفوضى فى مصر،والملف القبطى بدوره قابل للاشتعال فى أى وقت،ولذلك فإن نزع فتيله يحقق فتنًا وأزمات ومعارك لا يمكن أن يتحملها أحد، ويوم أن تتحقق الفوضى فإن كل شيء بعدها يمكن أن يكون جائزا،فهل زغلول النجار جزء من هذه المنظومة التى تعمل على نشر الفوضى فى مصر؟

إجابة السؤال صعبة، فليست لدى معلومات مؤكدة عن دوافع زغلول النجار فيما يفعله،ولن أفعل مثله وأقول إننى عرفت بطريقة غير مباشرة،لكن ما يمكن أن أقوله: إن زغلول النجار صانع من صناع الفتنة فى مصر..وأنه مدين للأقباط فى مصر باعتذار...فمتى يمتلك الشجاعة ويقدمه لهم؟

ما فعله زغلول النجار لم يكن نهاية أزمة،ولكنه كان بداية أزمة،وكان لابد من أن أبحث عن مصير وفاء قسطنطين.

أين هى؟

وهل قتلت بالفعل؟

أم أنها فى مكان سرى لا يعرفه أحد إلا عدد قليل جدا من رجال البابا شنودة.

وبالفعل بحثت وكتبت..وقلت:

لقد كانت أمام الكنيسة فى مصر فرصة ذهبية لأن تنتقم من خصم قوى وعنيد لها هو الدكتور زغلول النجار،بعد أن قال: إن الكنيسة قتلت وفاء قسطنطين، لأنها رفضت كل الضغوط التى مورست عليها وضدها حتى تعود عن إسلامها الذى تتمسك به وترفض رفضا قاطعا وباتا أن تعود مرة ثانية إلى المسيحية.

كان يمكن للكنيسة أن تخرج وفاء من مخبئها، تجعلها تتحدث ولو لدقيقة واحدة على أى من الفضائيات التى تملكها الكنيسة، تقول: أنا موجودة ولم أقتل، وأنا لا زلت على دينى، لكن الكنيسة تعاملت مع الموقف بغرور شديد، واعتصمت بأنه لا أحد يمكن أن يجبرها على شيء، وأصرت على أن تخفى السيدة التى كانت مثل الخنجر الذى اخترق صدر الكنيسة وهز عرشها.

لو أن الكنيسة فعلت ذلك، جعلت وفاء تتكلم، لكانت ربحت ما لم تربحه فى حياتها، كانت ستخرس زغلول النجار إلى الأبد،كانت ستظهره على أنه كاذب ولا يقول الصدق، بل إنها كانت ستلقى بظلال كثيفة على كل ما قاله قبل ذلك ويقوله الآن وما يمكن أن يقوله فى المستقبل، هذا إذا استطاع أن يقول شيئًا،أن تشكك فى مصداقيته لدى جمهوره العريض الذى يستمع إليه وينصت لكلامه ولا يظن لحظة أنه يمكن أن يقول كذبا.

لكن الكنيسة اختارت أن تتصرف بشكل مرتبك ولن يعود عليها بالنفع،بل سيجعل من يقتنعون بأن وفاء قسطنطين لم يمسسها سوء،يكفرون بهذا الاعتقاد،

وينحازون إلى ما قاله زغلول، فالذى يقول الكلمة الأولى دائما على حق.

التصرف الوحيد الذى لجأت إليه الكنيسة، كان من خلال المستشار نجيب جبرائيل الذى حمل أوراقه ونسخة من جريدة الخميس وذهب إلى مكتب النائب العام،ليقدم بلاغا ضد زغلول النجار، الدكتور نجيب حمل البلاغ بوصفه مستشار الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ورئيس الاتحاد المصرى لحقوق الإنسان.

بلاغ جبرائيل جاء فيه أن زغلول النجار أدلى كذبا بأقوال من شأنها أن تكدر السلم الاجتماعى، والعلاقة بين الأقباط والمسلمين، وتهدد الوحدة الوطنية.

اتهمه نجيب صراحة بالتشكيك في أحكام القضاء لأن ما قاله من أن الكنيسة القبطية أخفت وفاء قسطنطين، ثم قتلتها، لئلا تعود إلى الإسلام مرة أخرى، وهذا الكلام ليس جديدا ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يثار فيها،فقد قاله قبل ذلك الشيخ يوسف البدرى فى دعوى قضائية ،لكن نجيب جبرائيل قدم إلى المحكمة في ديسمبر ٢٠٠٧م وثيقة رسمية من نيابة عين شمس بخط يد وفاء قسطنطين قالت فيها : إنها ولدت مسيحية وسوف تعيش وتموت مسيحية، وقد حكم القضاء برفض دعوى البدرى آنذاك.

وهنا ملاحظة جديرة بالتسجيل فالحكم الذى يحمله نجيب جبرائيل، لا ينفى كلام زغلول النجار،إنه يشير به إلى قضية أخرى مختلفة تماما، فهو يعنى أن وفاء لا زالت مسيحية لكنه لا يحسم إن كانت على قيد الحياة أم أنها قتلت فعلا،كان يمكنه أنه يصطحب وفاء إلى مكتب النائب العام ويقدم البلاغ باسمها،هذا إذا كان يريد للفتنة أن تموت فى مهدها، لكن شيئًا من هذا لم يحدث.

على كل حال تلقف موقع «العربية نت» تصريحات النجار وخبر الدعوى القضائية التى أقامها جبرائيل،وعبر اتصال تليفونى من القاهرة قال جبرائيل للموقع:إن عودة زغلول النجار اليوم ليفجر المشكلة مجددا، معناه أنه يشكك في حكم القضاء، ومن ناحية أخرى، كونه اعتاد الإبلاغ أو التصريحات كذبا، فليست

هذه هي المرة الأولى، وإنما سبق أن تقدمنا ببلاغ ضده، يخضع حاليا للتحقيق فى مكتب النائب العام، بسبب إهانته للكنيسة لأنه وصف الكتاب المقدس ب «المكدس»، والإنجيل بأنه محرف، ونسب للكنيسة أنها تقوم بالتنصير والتبشير بالقرب من مزارع دينا على طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوى فى أماكن أعدت للمسلمات لتسفيرهن دون أن يقدم دليلا واحدا على كلامه أو إدعاءاته.

وأضاف جبرائيل :طلبنا من النائب العام ضم هذا البلاغ إلى بلاغنا الذى ما زال قيد التحقيق، وطلبنا بمحاكمة عاجلة لزغلول النجار.

القضية ساخنة ولا يمكن أن تمر بسهولة خاصة أن زغلول النجار سيكون مضطرا لأن يمثل أمام النائب العام للتحقيق معه فى التصريحات التى أدلى بها،وإذا كان قال لنا: إنه عرف بطريقة غير مباشرة،ففى مواجهة النائب العام لن يستطيع أن يستخدم هذه الصيغة،بل سيكون مطالبا أن يقدم الدليل على كل كلمة قالها،أو أى اتهام اتهم به الكنيسة خاصة أن الاتهام هذه المرة بالقتل،وهو ما يعنى أن هناك واقعة مادية،وأن هناك جثة تم دفنها فى مكان ما،وأن هناك قاتلاً ارتكب جريمة،وأن زغلول النجار لابد أن يرشد عن كل ذلك أو على الأقل بعض منه.

مشكلة زغلول النجار هو كفيل بها،وسيواجه مصيره أمام الجهات القضائية، لكن القضية الأهم والأكبر الآن هى فعلا أين وفاء قسطنطين؟

لا أخفيكم أنى متعاطف جدا مع هذه السيدة التى أيا كان ما فعلته،أسلمت أو عادت للمسيحية، فإن الأمر لم يكن يستدعى أبدا كل هذه الضجة التى أثيرت ولا زالت تثار حولها، لقد دفعت الثمن وحدها، وهؤلاء جميعا من الرجال الأشداء الذين يتقاتلون حولها، ويعبثون بسمعتها وشرفها ودمائها هم الرابحون الأبطال والعظماء.

زغلول النجار يريد أن ينسب إلى نفسه أنه كان السبب المباشر فى إسلام وفاء، وأنها دخلت الإسلام على يديه، وبالطبع أن يسلم على يديك إنسان خير لك مما

شرقت عليه الشمس وغربت، قال : إنها أسلمت بعد أن قرأت أحد مقالاته فى جريدة الأهرام عن الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم وإن كنت أشك فى ذلك،لأن الرجل يكتب من الأساس مقالات غير مفهومة، هذا إذا استطعت أن تكمل له مقالا حتى آخره.

ويوسف البدرى الذى ظل طويلا يدافع عن وفاء قسطنطين،وتقدم بعدة دعاوى قضائية ضد الكنيسة ليستخلصها منها، يريد أن يبدو فى النهاية كمقاتل عظيم من القرون الوسطى، يحارب من أجل الإسلام، يبكى عليه ويزود عن حوضه ويحار ب الأقباط المجرمين الذين يريدون أن يخطفوا وفاء، وكأن وفاء لو أخذها المسلمون فستتحرر القدس وتعود إلينا فلسطين وسيخرج الأمريكان من أرض العراق وينصلح حال المسلمين ويصبحون فى مقدمة الأمم.

حتى الدكتور نجيب جبرائيل الذى سارع بتقديم دعوى قضائية ضد زغلول النجار، يضع فى ذهنه أنه حامى حمى وفاء قسطنطين، والمدافع عنها وعن حمى الكنيسة، والذى لن يهدأ له بال حتى يصمت هؤلاء الذين يريدون أن يختطفوا وفاء من أحضان الكنيسة.

الكل يتصارع حولها وهى الوحيدة المسكينة التى لا تتكلم، الجميع يتكلم باسمها وينسب لها التصريحات دون أن ندرى من الذى يتحدث عنها بصدق، ومن يكذب ويختلق الأحداث ؟ وهل هى موجودة فعلا ، أم أنها قتلت،وإذا كانت قتلت فمن فعلها وأين دفنت،وهل وصل الإجرام برجال الكنيسة إلى هذا الحد من القسوة؟ وإذا كانت حية ترزق فأين تعيش وماذا تفعل بالضبط؟ هل أجبرتها الكنيسة على أن تختفى؟ أم أنها اختفت بإرادتها وابتعدت عن الأضواء التى احترقت بنارها،فقد خربت بيتها بيديها،الفضيحة وموت الزوج وتشرد الأولاد، انتهى بها عهد دفء البيت واستقرار العائلة وأصبحت وحيدة يتحكم فيها وفى مصيرها الآخرون؟

. كانت هذه الأسئلة هى شغلى الشاغل.

جعلت الإجابة عليها هدفى.

لقد قيل: إن وفاء قسطنطين غادرت مصر وسافرت إلى دولة بها أغلبية مسيحية دون أن يحددوا لنا اسم هذه الدولة ولا متى خرجت وفاء إليها،وقد يكون هذا السيناريو معقولا خاصة أن الأمن كان يريد أن يتخلص من وفاء بأى طريقة،وفى اللحظة التى تقترح فيه الكنيسة أن تخرج ، فإن رجال أمن الدولة لم يكن ليترددوا ولو للحظة واحدة،فالأمن فى الغالب يتصرف على طريقة شيوخ الخفر فى القرى،فليس مهما أن تقع الجريمة على أرضك، لكن المهم ألا تظل الجثة فيها، وإذا كانت وفاء قد أزعجتهم كل هذا الإزعاج فلماذا لا يتخلصون منها ما دام التخلص منها فيه راحة للجميع؟

قيل أيضا : إن وفاء ذهبت إلى وادى النطرون،وكانت تحت إشراف البابا شنودة شخصيا،وأنه كان يرعاها ،وبعد أن تأكد من استقرارها النفسى وعودتها إلى سابق إيمانها.المسيحى،وفر لها وظيفة فى الكاتدرائية بالعباسية تناسب قدراتها،فقد كانت موظفة سابقة فى الإدارة الزراعية بالبحيرة،فعملت عملا إداريا فى الكاتدرائية،وهو ما لم يتأكد لأحد،فكل الذين ترددوا على الكاتدرائية وحاولوا أن يتعقبوا أى أثر لوفاء،و بحثوا عنها لم يلمحوا لها ولو طرفا من بعيد.

بعد أن أثيرت الضجة حول تصريحات زغلول النجار الأخيرة عادت وفاء قسطنطين إلى دائرة الضوء من جديد،وكانت هناك محاولة أن تظهر كى تكذب كل ما قيل وتردد عنها،لكنها بعد أن قرأت تعليقات القراء المسلمين على تقرير «العربية نت» خافت وخشيت على نفسها وقالت لشقيقها فؤاد : إنها لا تستطيع أن تظهر ولا أن تفصح عن مكانها لأنها تخشى على نفسها من القتل، فيمكن لأى شاب مسلم غيور على دينه أن يعتبرها ارتدت عن الإسلام ،والردة لا عقاب لها إلا القتل.

هذا كلام لست مسؤولا عنه ولا عن دقته، فقد تسربت هذه الواقعة ربما للتأكيد على أنها لا زالت تحيا، وعليه فلا حاجة مطلقا لأن تظهر، فها هى تتابع النت وتقرأ ما يكتب عنها وتتحدث مع شقيقها وتأخذ قرارا فى أمر يخصها، فماذا يريد المسلمون بعد كل ذلك؟

مصادر من داخل الكنيسة طلبت منى ألا أصرح باسمها لأن كشف أى معلومة عن وفاء يمكن أن تسبب لهم حرجا بالغا، خاصة أن الكنيسة لا تريد أن تجعل من قصة وفاء موضعا للقيل والقال من جديد بعد أن أوشكت مصر على الاحتراق بسببها منذ سنوات،وبعد أن وضعت قيادات الكنيسة فى مواجهة مباشرة مع السلطة، ولولا تدخل العقلاء، لوقع وقتها ما لا يحمد عقباه أحد.

قالت هذه المصادر: إن وفاء وبعد أن هدأت الضجة التى أثيرت حولها وبسببها،وعادت إلى دير وادى النطرون قررت أن تعيش حياة الرهبنة،أن تهب نفسها لله وتنقطع للعبادة.

كان هذا قرار وفاء وزوجها لا يزال على قيد الحياة، فقد مات زوجها الكاهن يوسف معوض بعد حوالى عام من انفجار قصة زوجته، ولم تكن وفاته بسبب تأثير ما جرى، فقد كان مريضا على وشك الموت.

بعد موت زوجها أصبح من حق وفاء أن تتزوج مرة ثانية، وقد تلقت عدة عروض بالزواج حماية وتأمينا لها من شخصيات قبطية كبيرة، لكنها رفضت كل العروض التى وصلتها وقررت أن تكمل حياة الرهبنة.

المكان الذى توجد فيه وفاء لا يخرج فى الغالب عن دير وادى النطرون الذى انتقلت إليه بعد الأزمة، وظلت فيه فترة طويلة من أجل إعادة تأهيلها ودمجها فى الحياة المسيحية من جديد، وإن كان البعض يرجح أنها الآن موجودة فى مكان خاضع لمتابعة البابا شنودة شخصيا،ولا تتحرك إلا بمعرفته، فرغم أنها عادت إلى المسيحية على الأقل بشكل رسمى ومن خلال شهادتها إلى النيابة إلا أن الكنيسة لا

تزال تخشى منها.

كانت الضربة التى وجهتها وفاء للكنيسة ضخمة فهى زوجة كاهن، تعتبر أما للأقباط، فإذا كان هذا حالها فكيف يكون حال الأخريات،وإذا كان الكاهن عجز عن الدفاع عن مسيحية أهل بيته وتقوية إيمان زوجته والحفاظ عليه فكيف يا ترى يمكن له أن يحافظ على إيمان شعبه ويقويه؟

لقد تعرضت أسرة وفاء قسطنطين - ابنها المهندس وابنتها التى كانت لا تزال تدرس فى الجامعة- إلى ضغوط رهيبة من كل من حولهما فى بلدهما ومسقط رأسهما فى البحيرة، لكن بعد أن انتهى الموضوع وتأكد أن وفاء لن تعود إلى بيتها مرة أخرى قرر الولد والبنت أن يهجرا البحيرة نهائيا وهما الآن مستقران فى القاهرة ولا يريدان أن يتصلا بالإعلام من قريب أو بعيد بل إنهما يتحاشيان أن يقتربا ولو بالصدفة من ذكر أمهما التى قلبت الدنيا على رأسهما ربما بلا مقدمات ولذلك كانت الضربة قاسية جدا عليهما، فقد استيقظا من نومهما ليجدا أنفسهما دون أم.

لكن يبقى السؤال الذى أعتقد أنه مهم جدا، وهو لماذا تصر الكنيسة على إخفاء وفاء قسطنطين؟

إن هناك من يرى أن فى المطالبة بظهورها وحديثها إلى وسائل الإعلام اعتداء سافر على حريتها الشخصية، لقد اختارت ما أرادت وليس من حق أحد تحت أى مسمى من المسميات،أن يتدخل أو يجبرها على شيء،وهو كلام منطقى جدا،ويمكن أن نحترمه،لكن الوضع هنا مختلف.

ففى اللحظة التى قلبت فيها وفاء قسطنطين مصر رأسا على عقب لم تعد ملكا لنفسها،وإذا جاء اليوم رجل مثل زغلول النجار ليقول كلاما ،حتى ولو لم يكن عليه دليل، فليس منطقيا أن يقول الدكتور نجيب جبرائيل أن على زغلول النجار أن يثبث هو كلامه وأن يقدم الدليل عليه، وأن الكنيسة ليست ملزمة بأن تأخذ أى إجراء، فوفاء لدى الكنيسة وليست لدى أحد آخر،وإذا كان لديها تخوف من أى

شيء،فإن الذى حماها فى المرة الأولى يقدر على أن يحميها فى المرة الثانية.

إن هناك ثلاث إجابات أعتقد أن إصرار الكنيسة على إخفاء وفاء فى النهاية لن يخرج عنها:

الاحتمال الأول:أن وفاء قسطنطين قد تكون قتلت فعلا وأن الكنيسة الآن فى ورطة، لأنها لم تعلن عن وفاتها فى وقتها، وكان يمكن لها وقتها أن تذكر أى سبب لهذه الوفاة ولم يكن ليراجع وراءها أحد.

فلو كانت وفاء موجودة فما الذى يجبر الكنيسة على أن تتحمل كل هذه الاتهامات وتبتلع كل هذه الإهانات،إن الأمر سهل للغاية، دقيقة واحدة على أى قناة فضائية يمكن أن تخرس الألسنة وتحمى الكنيسة من القيل والقال ووقتها كل واحد يعرف مقامه ويحترم نفسه.

الاحتمال الثانى :أن الكنيسة تخشى إن هى أظهرت وفاء أن تتفوه السيدة بما لا يرضى الكنيسة،أن تقول كلاما يحرجها ولذلك فإن رجال الكنيسة يؤثرون السلامة ولا يريدون أن يدخلوا فى جدل جديد.

الاحتمال الثالث:أن تكون الكنيسة ومن منطلق وطنى لا تريد أن تشعل الفتنة من جديد وتكتفى بما جرى،فهى لا تريد أن تصب الكثير من الزيت على النار المشتعلة.

هذه احتمالات فقط، أما الحقيقة فلا زالت فى علم الله ....والله وحده أعلا وأعلم.

***

بعد أن عرضت اقتراح أن تظهر وفاء قسطنطين على شاشة أى قناة فضائية قبطية لأن هذا هو الحل الوحيد للرد على زغلول النجار الذى قال :إن وفاء قسطنطين قتلت فى الكنيسة بعد أن رفضت أن ترتد عن إسلامها،ويمكن أن يكون فى ذلك ردّ كافٍ على كل الأكاذيب التى احترفها زغلول النجار فى وجه الكنيسة،كان هناك

رأى تبناه العديد من العاملين فى الكنيسة والمسؤولين عنها،بأن تظهر وفاء ولو لدقائق قليلة.

كانت هناك حجة أن هناك خطر على حياة وفاء قسطنطين لو ظهرت وعرف المتطرفون المسلمون مكانها وهم الذين يريدون استردادها من الكنيسة تحت زعم أنها مسلمة وأن الكنيسة تحتجزها دون وجه حق.

لكن كان الرد على هذه الحجة الخائبة أنه يمكن تصوير وفاء فى أى أنتريه تابع للكنيسة فى أى مكان بحيث يعجز المشاهدون عن تحديد مكانها،وهو الأمر الذى حدث فى السهرة التى قدمتها الكنيسة ليلة عيد النيروز على قناة أغابى،كان المكان الذى تم التصوير فيه هو سطح كنيسة المعادى،ولم يستطع أحد أن يعرف المكان الذى تم فيه التصوير.

كانت هناك وجهة نظر أخرى وهى أن تظهر وفاء قسطنطين على قناة سى تى فى التى يملكها رجل الأعمال وعضو المجلس الملى ثروت باسيلى،لكنه هو شخصيا لم يأته خبر عن ذلك،ثم أنه تحديدا لا يمكن أن يأخذ قرارا فى هذا الشأن إلا بعد موافقة البابا شنودة شخصيا.

هذه الحالة تحديدا أغضبت الأنبا بيشوى سكرتير المجمع المقدس والرجل الثانى فى الكنيسة الذى يحب أن يبدو على أنه هو الرجل الأقرب إلى البابا شنودة،وهذه حقيقة لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يغفلها.

رفض الأنبا بيشوى أن تظهر وفاء على قناة ثروت باسيلى حتى لا ينسب له الفضل فى إظهارها والرد على زغلول النجار وإنهاء فتنته.

قرر الأنبا بيشوى بمكانه ومكانته فى الكنيسة أن يكون ظهور وفاء قسطنطين من خلاله هو وليس من خلال أحد آخر،أخذ على عاتقه أن يقنع البابا شنودة بالأمر وأكد للمقربين منه أنه يمكن أن يفعل ذلك بسهولة لأن البابا شنودة يثق فيه وفى رأيه وفى حسن تصرفه كذلك.

فضل الأنبا بيشوى أن يكون ظهور وفاء من خلال قناة الكنيسة الرسمية وهى قناة أغابى، فهو من ناحية يستطيع أن يأخذ قرارا فيها وينفذه، ثم إنه من ناحية ثانية وهذا هو المهم لا يستطيع أن يلزم ثروت باسيلى بأى قرار فى قناته التى لا يضعها فى خدمة الكنيسة بقدر ما يضعها فى خدمة البابا شنودة شخصيا.

أجرى الأنبا بيشوى اتصالات مكثفة مع البابا شنودة ليقنعه بظهور وفاء،وهو أمر بالمناسبة ليس سهلا بالمرة، ولذلك فإن الأنبا بيشوى يجمع ملفا بكل ما نشر عن هذه القضية ليعرضه على البابا ليظهر له كم أن الأمر خطير ومهم وعاجل،وهو ما يعنى فى الوقت نفسه أن ظهور وفاء قسطنطين على قناة أغابى أمر لم يحسم بعد ...فهو مرهون بموافقة البابا شنودة، والمعروف عنه أنه لا يريد أن يفتح هذا الملف مرة ثانية حتى لا تثور الفتنة من جديد ...فماذا يقول البابا شنودة، وأى شيء يقرر؟

كان قرار البابا شنودة الذى كان يعالج وقتها فى أمريكا ألا تظهر وفاء نهائيا، لكن هذا القرار لم يعلن، وكان أن وعد الأنبا موسى أسقف الشباب أن تظهر وفاء بمجرد أن يعود البابا من رحلته العلاجية، وعندما عاد البابا، أغلق كل الأبواب التى يمكن أن تكون مفتوحة أمام ظهور وفاء،ووضع بذلك الكلمة الأخيرة فى سطر وضع بنفسه نقطة فى آخره، ليصبح السطر مغلقا أمام الجميع.

هنا كان موقف الأنبا موسى محيرا، فقد كان يعرف أن البابا يرفض ظهور وفاء ومع ذلك وعد بظهورها، وكان لابد من الاشتباك مع ما قاله.

وبالفعل وقع الاشتباك.

وتساءلت... هل كذب علينا الأنبا موسى؟

وكانت الإجابة طويلة بعض الشيء...قلت:

أصدق الأنبا موسى فى كل ما يقوله،فهو رجل فاضل لا يقول سوى الصدق،لكن يبدو أن هناك ما دفعه إلى أن يسلك مسلكا مخالفا لما ارتضاه

لنفسه،لقد رغب منذ فترة طويلة ألا يدخل نفسه فى الصراعات الحادة حول إدارة الكنيسة،وكان يعتذر بشياكة ليست جديدة عليه عن إجراء أى حوار صحفى، حتى لا يتصيد له البعض كلمة من هنا أو تصريحًا من هناك، وينسبوا له ما لم يقله، أو يفسروا كلامه على غير ما يريده أو يهواه أو ما يتمناه.

تحدث إلينا الأنبا موسى على خلفية ما نشرناه عن أزمة وفاء قسطنطين،كان زغلول النجار قد صرح أن الكنيسة قتلت وفاء قسطنطين عندما رفضت أن تعود إلى المسيحية،قامت الدنيا ولم تقعد،وكتبت مقترحا على الكنيسة أن تظهر وفاء قسطنطين على أى فضائية مسيحية ولو لدقيقة واحدة حتى يتم تكذيب زغلول النجار هذا إذا كان كاذبا.

وافقنى فى هذا الرأى القمص عبد المسيح بسيط وقال لى: إن هناك بالفعل تفكيرًا جديًا فى إظهار وفاء،والأمر يحتاج فقط موافقة البابا شنودة لأنه آلى على نفسه أن يتولى كل شؤون وفاء قسطنطين بنفسه، ولا يتيح لأحد مهما كان شأنه أن يتصرف فى أمر من أمورها إلا بعد العودة إليه شخصيا.

انتظرنا لكن لم يحدث شيء،وأصدر الأنبا موسى بيانا عن وفاء وعن وجودها على قيد الحياة، وبعده قال لنا الأنبا موسى أن وفاء ستظهر فور عودة البابا مباشرة، وأن الكنيسة تقدر الاقتراح بأن تنتهى الفتنة التى اشتعلت بمجرد ظهور السيدة وفاء.

أخذت كلام الأنبا موسى على أنه ثقة، فهو لا يقول إلا الحق أو هكذا أعتقد، لكن يبدو أنه ليس كل ما يعتقده الإنسان صحيحا، فبعد عودة البابا واستقباله الضخم الذى لعب فيه الأنبا موسى دورا كبيرا فى الإعداد والتنظيم والظهور الإعلامى حدثت الصدمة،فقد أغلق البابا شنودة الملف نهائيا عندما قال لأساقفته:انسوا موضوع وفاء قسطنطين.

لم يكن فيما قاله البابا شنودة جديدا بالمرة، فهذا هو موقفه الواضح من البداية

أن يبتعد بوفاء عن الكاميرات ولا يعرف أحد عنها شيء، قد يكون ذلك من أجل الحماية وقد يكون من أجل عقابها فهى مثل المعتقلة أو تحت التحفظ، حتى تكون بذلك عبرة لمن يعتبر، فكل من تفكر من زوجات الكهنة أن تفعل ذلك فمصيرها لن يختلف عن مصير وفاء،وللبابا شنودة الحق فى أن يفعل ذلك طالما أن أحدا لا يستطيع أن يراجعه فيما يفعله لا داخل الكنيسة ولا خارجها.

لقد أدركت أن الأمر خطير منذ البداية، وقد وصل الخطر ذروته، بعد البيان الذى نسب إلى زغلول النجار، فقد أذاعت بعض غرف البال توك تسجيلا صوتيا لزغلول يطالب فيه بهدم الكنائس وإحراقها وإخراج المسيحيين من مصر وذلك انتقاما من الذين قتلوا الشهيدة وفاء قسطنطين.

لم أسمع هذا التسجيل بأذنى، ولا أعرف هل هو حقيقى أم مزيف مدسوس على الدكتور زغلول النجار، فالرجل له شطحات كثيرة لكن لا يمكن أن يكون الشطط قد وصل به إلى هذه الدرجة، أخبرنى به القمص عبد المسيح بسيط، وقال لى غاضبا أنه لا يعرف: لماذا لا تتدخل الدولة فيما يفعله ويقوله زغلول؟

قلت لعبد المسيح بسيط أن الخطأ هنا ليس خطأ زغلول النجار ولا خطأ الدولة فهو يقول ما يقوله عبر مواقع الإنترنت ويقوله أيضا عبر قنوات فضائية لا تسيطر الدولة عليها،لكن المشكلة هنا مشكلة الكنيسة،التى عاندت وركبت رأسها كالعادة ولم تحاول أن تكذب زغلول النجار بإظهار وفاء وهو ما جعل الجميع يتشكك بالفعل فى مصير وفاء.

إن البابا ومن خلفه من رجال ذهبوا إلى أن إظهار وفاء يمكن أن يخلق فتنة جديدة، وسيجرح مشاعر المسلمين،لكن إخفاءها سيصنع فتنة أكبر،وهو ما حدث وسيحدث فعلا،لكن ماذا نقول والكنيسة لا تريد أن تسمع إلا صوتها،وهو صوت فى الغالب يضللها ولا يرشدها إلى الصواب.

المشكلة لدى ليست فى كل ذلك ولكن فيما فعله الأنبا موسى، فما الذى دفعه

لأن يقول لنا ما قاله،هل كان يكذب علينا؟ هل كان يخترع كلاما من عنده حتى يهدأ الخواطر؟ مراهنا على أن الأيام وحدها كفيلة بأن تجعل الناس ينسون الأمر،أم أن الرجل تم التغرير به وخداعه فى الكنيسة، ودفعه إلى أن يصدر بيانا ويدلى بتصريحات غير مسؤول عنها.

لو كان هذا صحيحا فإن هناك من يريد أن يبدو الأنبا موسى بشكل سيئ، فهو رجل لا يدرى بما يدور حوله، أو يلعب دورا لا يختلف فى قليل أو كثير عن أدوار المحلل فى المؤسسات الكبرى،عندما تحتد الأزمات يظهر ويصرح وعندما تعلن الكنيسة رأيها الحقيقى تتبرأ مما فعله موسى على أساس أنه لا يمثل سوى نفسه ولا يمثل رأى الكنيسة الرسمى.

إننى أشفق على الرجل فهو يلعب فى قفص أسود وهو ليس فى حجم أو قدر من يلعبون،وإن كان هناك من يشبه الأنبا موسى بالرئيس السادات والدور الذى لعبه فى الحياة السياسية المصرية قبل أن يقفز على كرسى الرئاسة.

لقد ظل السادات مطيعا وهادئا لا يثير صخبا ولا يدخل فى معارك، بل كان يتحمل اهانات بالغة، للدرجة التى جعلت الجميع ينظرون إليه على أنه رجل مغلوب على أمره ولا يقدر على شيء، وفجأة بعد أن صعد الرجل إلى كرسى الرئاسة تحول إلى غول، صفى كل خصومه وانقلب على سلفه دون أن يستوقفه أحد.

فهل يكون الأنبا موسى هكذا،طيبًا ومطيعًا لا يدخل فى مشاكل ولا يجعل نفسه طرفا فى صراع، حتى يطمئن له الجميع داخل الكنيسة وخارجها وفى الوقت المناسب يقفز إلى أعلا محطما كل ما دونه وكل ماعداه، لا شيء مستحيل فى هذه الحياة.

لكن يظل السؤال قائما، وهو لماذا كذب علينا الأنبا موسى؟ أم أن الأمر خارج عن قدراته؟ لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال الصعب، موسى وحده من

يستطيع أن يفعلها وإن كنت أعتقد أنه سيلوذ إلى الصمت ويعتصم بالسكوت فهذه عادته ولن يشتريها.

***

قبل أن أغادر هذه الصفحة كان لابد من تحليل لما يجرى،لابد من النظر فى مرآة الفتنة الطائفية التى تشتعل فى مصر بين آن وآخر،ووجدت أمامى فى المرآة زغلول النجار،وليس بعيدا عنه زكريا بطرس،وكانت هذه رؤيتى لهما....وكان هذا ما كتبت:

لا أعرف زغلول النجار بشكل شخصى، لم أتحدث إليه ولم أحاوره ولم أجلس أمامه فى أى مجلس، لكننى أذكر أن موقفا جمعنى به وكان المرحوم أحمد فراج طرفا فيه، كتبت وقتها – فى حوالى العام ٢٠٠١ – عن ظاهرة زغلول النجار بعد أن استضافه أحمد فراج فى برنامجه الشهير «نور على نور»،وهو نفس البرنامج الذى استضاف فيه قبل ذلك الشيخ الشعراوى وكان فاتحة خير عليه،للدرجة التى جعلتنى وقتها أطلق على المرحوم فراج «صانع الأساطير».

توقع الجميع أن السيناريو الذى حدث مع الشيخ الشعراوى سيحدث مرة ثانية مع زغلول النجار،وإذا كان إمام الدعاة إلى الله مات،فإن إماما جديدا ولد من رحم الغيب،وقدرت المقادير نفس الرجل وهو أحمد فراج ليقوم بهذه المهمة.

على عكس الجَميع كنت أرى أن زغلول النجار ظاهرة نفسها قصير لن يتحول إلى أسطورة،فهو رجل متخصص فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم،وبعد أن يفرغ مما لديه من بضاعة،فإنه سيجد نفسه مضطرا للصمت،وعندها سينزوى بعيدا عن الأضواء التى راحت إليه راكعة تطلب رضاه.

وبالفعل أقام زغلول النجار الدنيا وشغل الناس،تمت استضافته فى ندوات،وبدأ يكتب مقالات فى الصحف، وأصدرت له دار الشروق بعض الإصدارات تحمل ما سبق وقاله فى برامجه التليفزيونية، وتعاقدت معه جريدة

الأهرام لكتابة مقال أسبوعى.

بدأ المقال ولعدة سنوات بمساحة صفحة كاملة ثم تقلصت المساحة حتى أصبحت أقل من صفحة قليلا،لم تتعاقد الأهرام مع زغلول النجار اقتناعا منها بما يقوله أو إقرارا منها بصحته، فقد تعاملت مع ما يكتبه زغلول مثل التاجر الشاطر الذى يعرف جيدا أى بضاعة يمكن أن يكون لها رواج كبير.

قابلت أحمد فراج فى بيته فى الجيزة كان يشعر بمرارة مما فعله معه زغلول، لقد تنكر له بعد أن كان سببا فى شهرته، تعامل وكأنه هو الذى صنع شهرته وتواجده بنفسه،ولا فضل لأحد عليه، كان فراج يضحك ساخرا مما جرى، قال لى لقد حدثتك وأردت الكلام معك لأنك قلت ما أراه صحيحا فيما يخص زغلول فهو ليس مثل الشيخ الشعراوى،ليس لديه من العلم ما يجعله فترة طويلة يجذب إليه الناس ويجعلهم أسرى سماعه ولا أعرف ماذا سيفعل زغلول عندما تنطوى عن وجهه صفحة الأضواء؟

لقد ظهر زغلول النجار فجأة ليحدثنا عن معجزاته فى جعل عدد كبير من غير المسلمين يعلنون إسلامهم،وهو ما حدث مع زكريا بطرس الذى طرد شر طردة من مصر،بعد ان ارتكب أخطاء لاهوتية جعلت الكنيسة تغضب عليه وتستبعده ولما كانت غير قادرة عليه أجبرته على أن يقدم لها استقالته وهى الاستقالة التى تشكل لغزا غامضا حتى الآن.

إن الكنيسة عندما تغضب على أحد أولادها تشلحه تجرده من ملابسه الكهنوتية حتى لا يكون شيئًا مما يقوله محسوبا عليها،لكنها لم تفعل ذلك مع زكريا بطرس ولا تفسير لدى أو لدى الآخرين لهذا الموقف إلا أن الكنيسة راضية كل الرضا عما يفعله زكريا وأن البابا شنودة شخصيا معجب بدوره وما يقوله،ويلقى دعما مباشرا منه،وإلا لما استطاع أن يستمر كل هذه الفترة يردد أكاذيبه وإساءاته التى لا تنتهى للإسلام ورسوله ﷺ ،وهى إساءات تجعل من حق أى مسلم أن يقطع رقبة

هذا القمص الملعون دون أن يحاسبه أو يعاتبه أحد على ذلك.

الآن الرجلان يتصدران المشهد،يشكلان بما يقولان من أكاذيب وجدان المتطرفين من الطرفين الإسلامى والمسيحى،كلامهما مثل القرآن المنزل من السماء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه رغم أن ما يرددانه ليس إلا كغثاء السيل،أو الزبد الذى يذهب جفاء لأن ما ينفع الناس يمكث فى الأرض.

لقد بحث الجميع فى جذور دوافع كل منهما ليعرفوا لماذا يقدم الرجلان على إشعال الفتنة فى ثياب المسلمين والأقباط،إن كلاً منهما ليس مقيما بشكل دائم فى مصر،زكريا مطرود ومنبوذ وزغلول مرتبط بأعماله فى الخارج وعندما يأتى إلى مصر يتفرغ للأحاديث الصحفية التى يفرغ فيها سمومه التى يلقيها بلا أدنى مسؤولية،وكأنه أوتى مجامع الحكمة ولابد أن نسمع له ولا نراجعه فيما يقول من كلام.

وزكريا بطرس من مقره فى قناة الحياة، وهى قناة سامة ومسمومة تنضح حقدا على الإسلام وعلى الرسول ﷺ وسلم دون أدنى مراعاة لمشاعر المسلمين،وقد يتخيل المعتوه زكريا بطرس أنه عندما يسيء للإسلام بهذه الطريقة التى تتجاوز كل حدود الأدب واللياقة أنه يمكن أن يجذب إليه قلوب المسلمين فيلتفوا حوله ويتركوا دينهم.

إن تفنيد كلام زكريا بطرس لا يحتاج إلى دارسين أشداء،لا يحتاج إلى باحثين من عيار ثقيل،فأصغر تلميذ يتلقى دروسا فى الثقافة الإسلامية يمكن أن يعرف أنه رجل لا يملك سوى الأكاذيب يرددها فى حلقات برنامجه الذى يبدو فيه وكأنه عالم،مع أنه ليس إلا حاقدا.

لقد قلت : إن خير علاج للسفيه إجتنابه،لكن المتطرفين يصرون على أن يصنعوا من زكريا أسطورة،وأن يرددوا كلامه بحجة أنهم يردون عليه،فما الذى جناه المسلمون عندما سمعوا شتائم هذا السفيه لرسولهم الكريم...لم يحدث

شيء.

لدى كل من الرجلين نقصٌ ما يريد أن يحققه، كل منهما أسير للشهرة وللمال وللنفوذ، وقد وجد كل منهما أن العمل الجاد والمستقيم لا يمكن أن يحقق لهما ما يريدان،ولذلك لجأ كل منهما إلى الطريق الأعوج.

إن طعن زغلول النجار فى الأقباط ودينهم أمر لا يأتى بخير،وطعن زكريا بطرس فى الإسلام ورسوله بكل هذه الوقاحة وكل هذا الجهل لن يفيد الأقباط بشيء، بل سيجعل من الأزمة أزمتين، إن الله هو الذى سيحاسب الجميع يوم القيامة، فلا داعى لأن نعلن الجهاد على بعضنا البعض، كل منا يريد أن يدخل الآخر فى دينه.

إننى هنا لا أرفض أن يدعو المسلمون إلى الإسلام، وهو بالنسبة لى دين رائع وراقٍ،ولا أرفض أن يقوم المسيحيون بالتبشير والدعوة إلى دينهم،لكن أن يتم ذلك بالحسنى،بدلا من أن يتم بالشتائم والجهل والسفه.

كل منا يقول ما لديه فى دينه من خير ونترك الحرية للآخرين.

لقد منح الله الإنسان الحرية، فلماذا يأتى من يريد أن يغتصبها ويصادرها لنفسه؟

إن زغلول النجار وزكريا بطرس عندى فى مساحة واحدة، ليسوا إلا شياطين تعمل من أجل التخريب والدمار، والثمن يدفعه الضعفاء والجهلاء الذين يسيرون خلفهم يرددون كلامهم بلا عقل ولا منطق ولا لحظة تدبر واحدة.

إن كلا من الرجلين كان يمكن له أن يوجه طاقته فى البحث والكلام إلى خدمة دينه،بدلا من حالة التهافت التى يبدوان عليها، لكن ما الذى يجعلهما يتعبان أنفسهما طالما أن طريق الشهرة سهل، يلقى كل منهما ما لديه دون تمحيص أو تدقيق ويمضى إلى حال سبيله، بصرف النظر عن الحرائق التى تشتعل فى ثياب الجميع.

إن لدينا مريضين نفسيين يجب أن يخضعا للعلاج النفسى، والمرض أعتقد أنه شهوة الشهرة،إن البضاعة التى يملكها زغلول النجار وهى حديثه عن الإعجاز العلمى فى القرآن بضاعة بارت لم يعد هناك من يشتريها أو يقبل عليها، فلماذا لا يبحث عن بضاعة أخرى، والبضاعة السهلة هى الهجوم على المسيحيين والكتاب المقدس عندهم، وتصويرهم على أنهم مجموعة من القتلة السفاحين الذين يقتلون من يحاول أن يعتنق الإسلام.

وزكريا بطرس رجل تافه يعرف أنه لو ظل واعظا فى الكنيسة يردد نفس الكلام فلن يسمع له أحد، فلماذا لا يبحث عن بضاعة أخرى؟،والبضاعة جاهزة وهى سب الإسلام وسب رسوله.

ولأن هناك من يسيرون على نفس الموجة فقد دفعوا له كثيرا من أجل أن تستمر برامجه وهو أمر معروف ولا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح أو الدلائل،وكلما زادت الأضواء من حوله كلما تعامل بسعار وهياج شديد ضد الإسلام، يتحدث بجهل وحقد شديدين، ودون وعى، وللأسف الشديد يجد هذا الرجل الجاهل من يروج له ويجعل منه بطلا.

إن العلاج الوحيد لما يقوله زكريا وزغلول هو تجاهلهما التام، التجاهل سينشف عودهما،سيسقطان دون مجهود، لكن ماذا نفعل والعالم من حولنا فقد عقله للدرجة التى يقوده فيها أمثال هؤلاء المجانين الجهلة ...فاللهم ارفع مقتك وغضبك وزغلول النجار وزكريا بطرس عنا.